المؤرخ الطبري

من منظور إستشراقي

الاستاذ الدكتور
حسن عيسى الحكيم
جامعة الكوفة / كلية الآداب

المؤرخ الطبري من منظور إستشراقي

الاستاذ الدكتور
حسن عيسى الحكيم
جامعة الكوفة / كلية الآداب

كان المؤرخ الكبير ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ / ٨٣٨-٩٢٣م) موضع دراسة عدد من المؤرخين العرب والمسلمين والمستشرقين. فقد درست سيرته ومنهجه في التفسير والتاريخ، وقد تلمس المؤرخون مواضع الاصالة في منهجه، ومواضع النقد في ارائه، وكانت ثقافته العالية في الفقه والحديث، جعلته في مقدمة المؤرخين والمفسرين في عصره، وقد ساعدته رحلاته الى العراق والشام ومصر على ارتشاف العلوم من علماء هذه الاقطار. وقد اهلته مواهبه الى تأسيس (مذهب الطبرية) في الفقه، في الوقت الذي كان المسلمون يتعبدون بمذاهب ذات اجتهادات في الفروع والاصول، وقد تصدى عدد من المستشرقين للمؤرخ الطبري لاستخلاص منهجه وارائه من خلال تأريخه وتفسيره، فيقول المستشرق بروكلمان: (نزل بغداد، فكان يعلم فيها الحديث والفقه وكان في اول امره يتفقه على المذهب الشافعي، ثم نجح بعد ذلك في تأسيس مذهب خاص به تبعه عليه بعض العلماء، وعاداه بسببه الحنابلة المتعصبون لاهل الحديث، وكان الوزير الخاقاني أراد ان يجعله قاضيا، فأبى ذلك ليستطيع ان يقصر جهده على العلم والتعلم[١]، وقد انصبت اهتماماته في التفسير والتاريخ والحديث والرجال، وكان ابوه يبعث اليه بمخصصات سنوية كانت لتصل إليه في الوقت المحدد لها دائما، وهو نفسه يروي لنا انه حصل على الخبز ذات مرة ببيع كمي قميصه، ولحسن الحظ انه قدم في مدينة بغداد الى عبيد الله بن يحيى وزير الخليفة العباسي المتوكل على الله، الذي جعله مؤدبا لولده[٢]. ولعل هذه العلاقة مع الوزير العباسي قد ساعدته على انجاز مشاريعه العلمية، فيقول المستشرق مرجليوث: ان المؤرخ الطبري قد اشترى الكتب لولعه بها، فضلا الى رحلاته في كثير من الاقطار لتحصيل العلم رواية. ويروي احد الوراقين: ان الطبري التمس منه، اذا عزم على تأليف رسالة القياس ان يجمع له ما امكنه من الكتب فيه، فجمع له الوراق نيفا وثلاثين كتابا، فأقامت عنده مريرة، ثم زادها وفيها علامات محمرة[٣]، وكان محيط بغداد العلمي قد أسهم في اتساع مدارك المؤرخ الطبري العلمية، وساعده على الاستنباط والاجتهاد ويعد كتابه (تاريخ الرسل والملوك) من اهم التواريخ العالمية، اذ انه ابتدأ به منذ الخليقة حتى عام ٣٠٢ هـ وقد نهج به من تاريخ الهجرة النبوية الشريفة (منهج الحوليات)[٤]. وكان الاخباريون قد سبقوا المؤرخ الطبري في

تدوين الاخبار والحوادث، وقد اعتمدها الطبري وقد اشار المستشرق هورفتس الى محذوفات ابن هشام (٢١٨هـ/٨٣٣م) من السيرة النبوية التي كتبها ابن اسحاق (ت١٥١هـ/٧٦٨م) في حين ان المؤرخ الطبري قد أورد روايات ابن اسحاق بدأ من المبتدأ، الذي حذفه ابن هشام[٥]. وقد اراد الطبري الحفاظ على عالمية السيرة التي كتبها ابن اسحاق ولو بشكل مقتضب، لان اجراء ابن هشام لم يكن سليما اذ ان نصوصا من السيرة فقدت، مما احدث خللا في السيرة التي وصلت إلينا عن طريق ابن هشام، ويقول الصفدي: ان سيرة ابن اسحاق رواها عنه جماعة منهم من زاد ومن نقص[٦]، وقد عمد ابن هشام الى حذف النصوص التي لا تلتقي مع ذوقه واحساساته[٧]. وقد أصبح عمله هذا مخالفا للامانة العلمية، ويقول الاستاذ حسين مؤنس: أصبحت سيرة ابن اسحاق، سيرة محرفة مبتسرة ومعدلة[٨] وكان المؤرخ ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) قد اورد نصوصا في كتابه (المنتظم في تاريخ الملوك والامم) منقولة عن ابن اسحاق، وقد حذفها ابن هشام وهي جزء من السيرة النبوية، وليس لها علاقة بالمبتدأ[٩]. وقد قام الاستاذ الدكتور سهيل زكار بتحقيق قطعة من سيرة ابن اسحاق الاصلية فيقول: (وقمت بمقاربة هذه القطعة بما عند ابن هشام فخرجت بنتائج مثيرة)[١٠]. ويبدو لي ان المؤرخ الطبري كان أمينا في نقله عن ابن اسحاق، ولم يراع موقف السلطة العباسية الحاكمة في تدوين النصوص التي لا تتفق مع خطها السياسي والعقائدي، في حين ان ابن هشام ابتعد عن الامانة العلمية، وحاول إرضاء السلطة عن طريق حذف النصوص التي تتعلق بالعباس بن عبد المطلب وجذور اسلامه، او التي تتعلق بايمان ابي طالب، ومواقف الامام علي (عليه السلام) الحاسمة مع المشركين، ودفاعه عن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) وقد تصدى عدد من المستشرقين لدراسة ابن اسحاق ومن بعده الطبري ومنهم: (الاستاذ فيك Fuck Johann) والاستاذ (بركلمان) والاستاذ (يوسف هورفتس) والاستاذ (كاوغست فيشر A. Fischer) وغيرهم[١١]. ويقول هورفتتس: ان قرابة مائة رأو من المدينة وحدها يروي لهم ابن اسحاق[١٢] وقد اثبتّ في بحثي الموسوم (محمد بن اسحاق وريادته في تدوين السيرة النبوية)[١٣] خمسين شيخا لمحمد بن اسحاق، وعدد من تلاميذه. وقد وقف الباحثون والمؤرخون من عرب ومسلمين ومستشرقين واجانب آخرين على نصوص المؤرخ الطبري التي استقاها من ابن اسحاق وغيره من الاخباريين، وقد ذهب الاستاذ (جب) الى رأي مفاده: ان الطبري لم يبد اي اهتمام بتاريخ المجتمعات غير الاسلامية منذ اللحظة التي ظهر فيها الاسلام[١٤]. وان هذا الجزم القاطع من المستشرق (جب) لم يكن سليما بدلالة النصوص التي أوردها في تاريخه، وقد أزال الاستاذ (باريه R. Parat) هذا الادعاء بقوله: (انه استند في جمع مادة تاريخية الى الروايات غير المدونة، وقد تيسرت له أسباب هذا الجمع بفضل رحلاته الواسعة التي صرف معظم همه فيها الى

طلب العلم، وحضور الدرس على مشاهير العلماء، وأفاد الطبري ايضا من كتب غيره مثل كتاب ابي مخنف، وكتاب أخبار أهل البصرة لعمر بن شبه، وهو كتاب في الحديث كان يقرأ منه زياد بن أيوب، وتاريخ نصر بن مزاحم، ثم سيرة محمد بن اسحاق، والكتب التي كتبها في هذا الشأن: الواقدي، وابن سعد، ومحمد الكلبي، وهشام الكلبي، والمدائني، وسيف بن عمر، وابن طيفور، وغير ذلك من الكتب[١٥] ولاشك ان المصادر التي اعتمدها المؤرخ الطبري قد تناولت مجتمعات غير اسلامية، كما ان تاريخ الطبري يشير الى ذلك بوضوح، وهذا ما يضعف من رأي الاستاذ (جب)، وان رحلات الطبري لعدد من الأقطار يوحي بالكتابة عن الشعوب التي إلتقاها، والجماعات التي اندمج معها فيقول (باريه): ومن خلال رحلاته في الحجاز والشام ومصر واستماعه لعدد من الشيوخ أضاف لمعلوماته مادة تاريخية أخرى، وقد توقف في المدن الشامية ليدرس الحديث[١٦] وقد إكتسب كتاب (تاريخ الرسل والملوك) شهرة واسعة وقد قارن المستشرق (بروكلمان) بينه وبين تاريخ ابن خلدون بقوله: ان ابن خلدون مدين بشهرته للمقدمة التي استهل بها تاريخه العام، على الخصوص وبينما لايرتفع تاريخه العام هذا فوق مستوى النموذج الذي وضعه الطبري في تاريخه[١٧] وهذه حقيقة يتلمسها المؤرخون عند دراسة تاريخ ابن خلدون، اذ لم يجد فيه العمق الفلسفي والتحليل المنطقي كما في (المقدمة) التي هي نموذج للعقل التاريخي عند العرب والمسلمين وذهب الاستاذ (فلهوزن) الى ان الفضل الأكبر يعود الى المؤرخ الطبري في حفظ روايات الاخباري (ابي مخنف) فهو قد قدم لنا أقدم واحسن ما كتبه ناشر عربي، ويقول: (ان الروايات القديمة المتعلقة بعصر بني أمية توجد حتى اليوم على اوثق ما تكون عليه عند الطبري، لانها لم تختلط ولم تتناولها يد التوفيق والتنسيق، وهو في القسم الجيد من كتابه[١٨] وقد تأثر المؤرخ ابن الاثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) في كتابه (الكامل في التاريخ) بمنهجية المؤرخ الطبري، وقد اشار (روم لاندو) الى هذا الجانب بقوله: ان حوليات الطبري ذات النطاق الكوني والموسوعي المدونة بطريقة الاسناد، تحاول ان تسند كل واقعة، حيثما تيسر ذلك، الى شاهد عيان او الى شخص معاصر انتهت روايته الى المؤلف عبر سلسلة من الرواة، وتلك مهمة تكاد تكون فوق طاقة البشر، وهكذا فان هذا المصنف هو في الواقع مجموعة من الوثائق الاولية[١٩] وبما ان الطبري قد جمع في معرفته بين التفسير والتاريخ والفقه، وقد انعكست هذه العلوم في مؤلفاته، فان الاستاذ (حيدر بامات) قد اشار اليها بقوله: ان الطبري ينطوي على روح اعتقادي فقهي، فنراه يعني بأخبار الاسلام ومسائل الفقه عناية خاصة[٢٠] فهو قد ألف كتابا في أحاديث يوم الغدير وكتاب (المسح على الخفين) مما اثار عليه غضب الحنابلة في بغداد، فاضطر على الاعتكاف في داره وبقي الحنابلة يلاحقونه حتى عند وفاته عام ٣١٠هـ/٩٢٢م.

وتصدى المستشرق (روزنثال) الى تاريخ الطبري ومنهجيته وخصائص كتابه، وقد استشهد برأي الفقطي: (واذا أردت التاريخ متصلا جميلا فعليك بكتاب ابي جعفر الطبري (رضي الله عنه) فانه من أول العالم والى سنة تسع وثلاثمائة، ومتى شئت ان تعزز به كتاب احمد بن طاهر وولده عبيد الله فنعم ما تفعل لأنهما قد بالغا في ذكر الدولة العباسية، واتيا بشرح الاحوال بما لم يأت به الطبري بمفرده، وهما في الانتهاء قريبا المدة، والطبري أزيد منهما قليلا، ثم يتلو ذلك كتاب ثابت فانه يداخل الطبري في بعض السنين، ويبالغ الى بعض سنة ثلاث وستين وثلاثمائة[٢١]. (وقد حاول المستشرق مارجليوث تفضيل رواية الطبري على معاصره الدنيوري -وان سبقه بعدة عقود- بقوله: (فمن الواضح ان التاريخ العام الذي لا يشغل غير أربعمائة صفحة يقوم على مقياس يختلف كل الاختلاف من مقياس الكتاب الضخم للرجل الاخر، ويبدو ان القول بان هذا الكتاب ليس كتاب الاخبار الطوال الوارد في ثبت الدنيوري له وجاهته اذ لايتفق العنوان مع المحتويات[٢٢].

ان تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) المتداول بين ايدينا، قد طبعه المستشرق (ايم جي دي غوية) في ليدن مع لجنة من كبار المستشرقين منهم: نولدكة، وغويدي، ومولر. وقام المستشرق (غويه) بتحقيق (منتخبات من تاريخ الطبري)، ونشرها عام ١٩٠٢م. وقد اسدى خدمة معرفية كبيرة، اضافها للتراث التاريخي عند المسلمين، وقد اعتمد المستشرق (نكلسن Nicholson) في كتابه (تاريخ الادب العباسي) على هذه الطبعة. وقد استقى نصا من الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) جاء فيه: ان المؤرخ الطبري اختصر تاريخه وتفسيره بناءً على رغبة تلاميذه، عندما رفضوا قراءة النسخ الاولى معه رفضا باتا فما كان منه إلا القول: (انا لله ماتت الهمم)[٢٣]. ولكن على الرغم من اختصار الطبري لتاريخه فانه يبقى الصرح الشامخ في المصنفات التاريخية وقد وصفه المستشرق (جب) بقوله: (إن الطبري كان في الأصل محدثاً وأراد ان يكون تاريخه تكملة لتفسيره الكبير للقران الكريم، ولهذا أورد الروايات التاريخية بنفس الوضوح والتدقيق والتحري الذي اتسم به التفسير، ويبدو من تاريخه الذي وصلنا انه صورة موجزة من كتاب أوسع كان ينوي تأليفه. واضاف المستشرق (جب) الى قوله: (ونحن نتذكر مناحي ضعفه فكتابه بما يتمتع به من صدق وشمول يعين لنا خاتمة حقبة كاملة، ولا نجد بعده مصنفا يأخذ على عاتقه من جديد جمع المواد عن تاريخ صدر الاسلام والنظر فيها وانما المصنفون بعده اما نقلة للروايات من تاريخ الطبري يكملونها من كتب البلاذري، واما مؤرخون يبتدئون من حيث انتهى الطبري[٢٤] وقد أشار (نكلسن) الى حجم المادة التاريخية التي أودعها الطبري في كتابه بحيث أصبح مخزنا واسعا لمعلومات قيمة للمؤرخين، فضلا عن دارسي الاسلام، وهو مرتب حسب التسلسل الزمني، وقد صنفت الحوادث تحت السنين الهجرية التي حدثت فيه، وان هذه المادة التاريخية

الضخمة في واقع الحال لم تكن هي الأصلية، اذ ليس ثمة نسخة كاملة للتاريخ قد احتفظ بها في أرجاء مختلفة من العالم[٢٥] وقد لخص (البلعمي) تاريخ الطبري بناءً على رغبة المنصور الاول السامانى، وقد نشره (دويو Dubeux) و(زوتنبرغ Zotenberg) باللغة الفرنسية بين عامي ١٨٦٧-١٨٧٤م[٢٦]. وكان المستشرق (رزنثال) عن دراسته لتاريخ الطبري وقف على بغداديته في تدوين الاحداث، وهذا أمر طبيعي لان بغداد مركز الخلافة الاسلامية وملتقى رجال الفكر والعلم والادب، والى هذا الجانب يشير بقوله: وهذا أمر منتظر وملحوظ في كل مكان ولكنه يتجلى بصورة خاصة عندما تقارنه بما رويه بعض المؤرخين الذين يأخذون وجهات نظر أخرى، كما هو الحال مثلا في التاريخ الطولوني، ويبدو انه حذف التفاصيل التي لا تلائم مصالح العباسيين، أما أخبار الوفيات فقد أقصاها عن التاريخ، اللهم إلا لمن كانت له أهمية تاريخية وقد خصص كتابا اسمه (ذيل المذيل) لدراسة تراجم المسلمين الاول[٢٧]، واننا مع رأي المستشرق (روزنثال) ان الطبري لم يهتم بالوفيات الا قليلا، وهو بذلك قد خالف المؤرخين الذين جاءوا بعده، كابن الجوزي، وابن الاثير. وقد وقف المستشرق (دي غويه) عند مرويات الطبري التي عن طريق سلسلة الرواة، فاذا كان قد حصل على أكثر من رواية لحقيقة معينة مع تحويرات مهمة نوعا ما، لطريق عدة سلاسل من الرواة، فهو يقدمها جميعا الى القارئ بالتفصيل، وهكذا يكون بوسعنا ان ننظر الى الحقائق من أكثر من وجهة نظر واحدة ونكتسب فكرة حية واضحة عنها[٢٨]، ويبدو ان المؤرخ الطبري في إيراده روايات عديدة للحادثة الواحدة، فانه يترك الحكم للقارئ في اختيار الأفضل منها بعد الموازنة بين الروايات. ويمكننا القول: ان كثيرا من المستشرقين درسوا المؤرخ الطبري وغيره من المؤرخين، فانهم أبدعوا في جانب واخفقوا في جانب آخر، وهذا له صلة بحجم ثقافة المستشرق باللغة العربية والدين الإسلامي والتاريخ عبر مراحله وان ما أورده المستشرقون من دراسات حول الطبري، فانها كانت -في الغالب- سليمة وجيدة، ويبقى الأمر الأخير للباحثين والمؤرخين العرب والمسلمين من تدقيق آرائهم وإفراز جوانب الصحة والخطأ من خلال المصادر المعتمدة والمراجع المفيدة النافعة.

Abstract

Abu jaafer Muhamed bin Jereer Al-Tabery (224 – 310 A.H.) was topic of study for several of the historians Arabian Muslims and historians Oriental's.

I studied his program and conduct in the history and explanation. The historians felt around the originality topic through his program, and his criticism topic through. So his education was very exited within the

Jurisprudence and the prophetic and that made him in front of the historians and educators during his time. His voyages to Iraq and other Arab Countries helped him to get the science from the scientists of the countries. So that made him start the Tabary's ideology in the Jurisprudence at that time, when the Muslims were toworship with their beliefs which had diligence in branches and principles, then the other side he was interested in explanation of Al-Hadith, History as well as the prophetic.

هوامش البحث

(١) بروكلمان: تاريخ الادب العربي ٤٦/٣.
(٢) نكلسن: تاريخ الادب العباسي ص ١٤٦.
(٣) مرجليوث: دراسات عن المؤرخين العرب ص ١٢٢.
(٤) بروكلمان: تاريخ الادب العربي ٤٦/٣.
(٥) هورفتس: المغازي الاولى ص ٨٣.
(٦) الصفدي: الوافي بالوفيات ٧/١.
(٧) جب: دائرة المعارف الاسلامية (مادة علم التاريخ) ٤٨٧/٤.
(٨) حسين مؤنس:هامش كتاب (التمدن الاسلامي) ١٠٧/٣.
(٩) ابن الجوزي: المنتظم ٣/ورقة ١١٤/١١٠.
(١٠) سهيل زكار: التاريخ عند العرب ص٣٩.
(١١) حاطوم واخرون: المدخل الى التاريخ ص١٩٣.
(١٢) هورفتس: المغازي الاولى ص ٧٧.
(١٣) حسن الحكيم: محمد بن اسحاق، مجلة اداب المستنصرية، العدد الرابع عشر ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
(١٤) جب: المدخل في الادب العربي ص٧٨.
(١٥) باريه: دائرة لمعارف الاسلامية (مادة طبرية) ٧٠/١٥.
(١٦) باريه: دائرة لمعارف الاسلامية ٦٧/١٥.
(١٧) بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية ٢٠٨/٢.
(١٨) فلهوزن: تاريخ الدولة العربية وسقوطها ص١
(١٩) روم لاندو: الاسلام والعرب ص٣٠٣.
(٢٠) حيدر بامات: مجالي الاسلام ص١٦١.
(٢١) روزنثال: علم التاريخ عندد المسلمين ص١١٧.
(٢٢) مارجليوث: دراسات عن المؤرخين العرب ص ١٢٨
(٢٣) الخطيب: تاريخ بغداد ١٦٣/٢؛ نكلسن: تاريخ الادب العباسي ص١٤٧.
(٢٤) جب: دراسات في حضارة الاسلام ص١٥٦.
(٢٥) نكلسن: تاريخ الادب العباسي ص١٤٧-١٤٨.
(٢٦) المصدر نفسه ص١٤٨.
(٢٧) روزنثال: علم التاريخ عند المسلمين ص١٨٧.
(٢٨) دي غويه: مقدمة (تاريخ الطبري) ص٢٧.

قائمة المصادر والمراجع

- باريه

(١) دائرة المعارف الاسلامية، الجزء الخامس عشر، ترجمة: احمد الشنتاوي واخرون.

- بروكلمان: كارل

(٢) تاريخ الادب العربي، نقله الى العربية الدكتور عبد الحليم النجار، مطابع دار المعارف/ مصر ١٩٦٢م.

(٣) تاريخ الشعوب الاسلامية، نقله الى العربية نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين/ بيروت ١٩٦٠م.

- جب : هاملتون

(٤) دائرة المعارف الاسلامية (مادة علم التاريخ)، الجزء الرابع.

- ابن الجوزي: ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ)

(٥) المنتظم في تاريخ الملوك والامم، مخطوط في مكتبة المجمع العلمي العراقي/ بغداد.

- حسين مؤنس

(٦) هامش كتاب (التمدن الاسلامي) لجرجي زيدان، دار الهلال.

- حيدر بامات

(٧) مجالي الاسلام، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة احياء الكتب العربية/ مصر ١٩٥٦.

- الخطيب البغدادي: ابو بكر احمد بن علي (ت٤٦٣هـ)

(٨) تاريخ بغداد او مدينة السلام، مطبعة السعادة/ القاهرة١٩٣١م.

- دي غويه

(٩) مقدمة (تاريخ الطبري) طبعة ليدن

- روزنثال: فرانز

(١٠) علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة الدكتور صالح احمد العلي، مطبعة العاني/بغداد ١٩٦٣م.

- روم لاندو

(١١) الاسلام والعرب، نقله الى العربية منير البعلبكي، دار العلم للملايين/ بيروت، الطبعة الاولى١٩٦٢م

- سهيل زكار

(١٢) التاريخ عند العرب نشأته وتطوره، دار الفكر للطباعة والنشر/دمشق

- الصفدي: صلاح الدين خليل بن ايبك (ت٧٦٤هـ)

(١٣) الوافي بالوفيات، مطبعة وزارة المعارف/ استانبول ١٩٤٩م، ومطابع دار صادر/ بيروت.

- فلهوزن: يوليوس

(١٤) تاريخ الدولة العربية وسقوطها من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي ابو ريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر/ القاهرة ١٩٦٨م.

- مارجليوث

(١٥) دراسات عن المؤرخين العرب، ترجمة الدكتور حسين نصار، دار الثقافة/بيروت.

- نكلسن: رينولد

(١٦) تاريخ الادب العباسي، ترجمة صفاء خلوصي، مطبعة اسعد/ بغداد ١٩٦٧م.

- هورفتس: يوسف

(١٧) المغازي الاولى ومؤلفوها، ترجمة حسين نصار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي/ مصر الطبعة الاولى ١٣٦٩هـ.